مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٩) العدد (١) ٢٠٢٥
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (9) No. (1) 2025

# المرأةُ في روايةِ (هوى) للكاتبةِ "هيفاء بيطار"

**د: غدير يوسف ***

**إبراهيم فتحي شعبان ****

**(تاريخ الإيداع ١١/٤ /٢٠٢٤. قُبِل للنشر في ١/٢٦ /٢٠٢٥)**

**□ ملخّص □**

تهدفُ هذه الدراسة المعنونة "المرأة في رواية (هوى) للكاتبة هيفاء بيطار" إلى تتبع صورة المرأة في هذه الرواية، بوصفها موضوعا حساساً، ومحوراً مهماً سَجلَ حضوره في صناعة التاريخ في اختلاف مراحله، ولكونها ركنا مهماً لا يمكن الاستغناء عنه في السرد الأدبي الذي يكشف عن الحالة النفسية للأشخاص في المواقف الاجتماعية كافة، بل الهوية العامة للإنسان داخليا وخارجيا على حدٍّ سواء، ونخص هنا شخصية إيمان التي قدمتها بيطار، وسنشرحها تحت مجهر الدراسة النقدية في محاور عدة وهي:( الجسدي المادي، الروحي الديني، الإيديولوجي الاجتماعي، النفسي).

**الكلمات المفتاحية:** المرأة، رواية، هيفاء بيطار.

*عضو هيئة تدريسية، اختصاص النقد العربي الحديث، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة طرطوس، طرطوس، سورية.

**طالب دراسات عُليا(ماجستير) قسم اللغة العربية– اختصاص أدبيات (نقد حديث)، جامعة طرطوس، طرطوس، سورية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٩) العدد (١) ٢٠٢٥
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (9) No. (1) 2025

# The Woman in the novel (Hawa) by" Haifa bitar"

**Dr: Ghader Yousef***
**Ibrahim fathe shaban****

**(Received 4/11 /2024. 26 /1/2025)**

**□ ABSTRACT□**

This study, entitled "The woman in the novel (Hawa) by Haifa Bitar" aims to trace the image of women in this novel (Hawa) by "Haifa Bitar" aims to trace the image of women in this novel, as it is a main topic and an important axis whose presence has been recorded in the making of history as its various stages, as women are an important and indispensable element in the narrative. The storyteller who reveals the psychological state of people in all social situations, but rather the general identity of a person both internally and externally and here we single out the character of "Iman", which Bitar presented, and we will explain it under the microscope of critical study in several axes, (the physical and material, the spiritual and religious, the social and ideologist, and the phycological).

**Keywords:** Woman, novel, Haifa Bitar .

*Faculty member, specialization in modern Arabic criticism, Faculty of arts and humanities, tartous university, tartous, Syria.

**Postgraduate student(masters), department of Arabic language- specialization (modern criticism)- tartous university, tartous, Syria.

**المقدمة:** إن المتتبع للحركة الأدبية الروائية يلحظ أن الحقب السابقة حافظت على صورتين اثنتين للمرأة، تراوحتا بين نموذج مثالي يصور المرأة عاشقةً، أو أماً رؤوماً، أو مناضلة، وقد تؤول الصورة حينا لتصبح رمزاً يحيل للوطن، أما الصورة الثانية، فهي نقيض سلبي ينبلجُ من رحم نظرةٍ سلبيةٍ متوارثةٍ، إذ تكون المرأة فيه جسداً ورمزاً للإغراء والانحلال، أو منقادة كنعجة بإمرةِ سلطةٍ ذُكوريةٍ، وهاتان الصورتان ليستا سوى صورة وعي الكاتب نفسه وإدراكه للمرأة على الصعيد النفسي، وبعد تحولات مصيرية أصابت المجتمع العربي جعلت من المرأة عنصراً مساهماً وفعالاً، وجعلت دفة القيادة الأدبية تتمايز بين الأدباء والأديبات مغيرةً بذلك صورة المرأة في السرد الروائي كما في الواقع ومن هنا سنوضح كيف تجلَت هذه الصورة عند الكاتبة.

## أهداف البحث:

١-تسليط الضوء على رواية منسية في النقد.

٢-دراسة المرأة في هذا العمل بوصفها عنصراً رئيساً ومحركاً للعمل الروائي وتوضيح الواقع من خلال نظرتها له.

٣-إظهار المرأة بتناقضاتها الفكرية والنفسية، وتفسيرها، والمسبب لها.

٤-توضيح قضية الحبّ عند المرأة في هذه الرواية بوصفه تجسيداً لأزمة الحرية الذاتية لها.

## أهمية البحث:

يكتسبُ هذا البحثُ أهميته من خلال توضيح كل الصور الممكنة للمرأة ودراستها من خلال شخصية واحدة" إيمان" التي تنقلب حياتها رأساً على عقب وتتغير مع تغير كل حدث، سواء كان عن الحبّ والرغبات، أم الدين والروح، القضايا الاجتماعية وخبايا النفس، كأنها تصبح الحياة بذاتها، لا معادلاً لما فيها، ففرادة التصوير عند بيطار يجعلنا نكسر الصورة النمطية للمرأة، وننطلق في رؤية جديدة رافضة للماضي المكرر، مندفعة نحو الجديد.

## منهجُ البحث:

سنتبع في هذا البحث المنهج التكاملي، الذي سيصف الحالات والحوادث ومكنونات النفس من خلال المنهج الوصفي، وسنستعينُ بالمنهج النفسي لتحليل الجانب النفسي وانعكاساته على الشخصية في جوانب حياتها.

وسنوضح دلالات كلّ رمزٍ لفظي أو حادثة، لنصلَ إلى نتائج مرضية.

## الدراسات السابقة:

لم نعثر في أثناء البحث والاطلاع على الدراسات السابقة على بحث درس صورة المرأة في رواية "هوى" للكاتبة هيفاء بيطار، أو درست إحدى أعمالها بالأسلوب الذي اعتمده هذا البحث بتركيزه على أصعدة محددة تشمل جوانب عدة للمرأة. غير أن هناك دراسات بحثت في أمور المرأة، وأُخرى تناولتها في أعمال مختلفة ومنها:

١-المرأة والجنس، د. نوال السعداوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٤.

وتناقش السعداوي مشكلة شغلت المجتمع كله، وهي علاقة المرأة بالجنس وتطورات مراحلها ومشكلاتها؛ وذلك من خلال التعرف على جسد المرأة من وجهة نظر فيزيولوجية تشريحية، وخاصة التناسلية ومناطق الإثارة فيها، والوقوف على العوامل النفسية التي تُؤثِّر عليها، وتقديم بعض الحلول التجريبية لها.

٢–المرأة والصراع النفسي، د. نوال السعداوي، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٧.

ويتألف هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء، تقدم السعداوي في الجزء الأول للمشكلة وتعرف بالمفاهيم العلمية المتعلقة بها، وفي الجزء الثاني تقدم مناقشة لنتائج بحثها وتشرح حول إصابة المرأة بالعصاب، وأخيرا تقدم نماذج دراستها من نساء من شتى الأعمار والبيئات.

٣–صورة المرأة في رواية "المرأة ذات الثوب الأسود" لحنا مينا، إعداد: فيروز حشايشي، شروق فلاك، إشراف: أ. نورة قطوش، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، الجزائر،٢٠١٨.

وتتناول هذه الدراسة المرأة في الحياة الواقعية على الصعيد النفسي، وتعالج موضوع المرأة في المجتمع العربي والغربي، وجاءت الدراسة في فصلين، بحث الأول في مفهوم الصورة الفنية وأنواعها وتناول أهم قضايا المرأة كالإنجاب والأمومة والحبّ والحرب، وكيف تجلت صورتها عند الكاتب حنا مينا. أما الفصل الثاني فعالج صورة المرأة من خلال الصور الحسية، وشرح دلالة العنوان في الرواية.

## توصيف البحث:

يتألف هذا البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث، وخاتمة. تحدثنا في المقدمة عن مسوغات اختيار البحث وأهميته وأهدافه، وعن المنهج الذي سنتبعه.

–في المبحث الأول سنتحدث عن المرأة على الصعيد الجسدي المادي من خلال تحليل العلاقات الغرامية ودراستها، ومتطلبات الجسد، والحاجات المادية، ومتطلبات العيش.

–أما في المبحث الثاني (المرأة على الصعيد الروحي الديني) فسنتناول أفكار إيمان الروحية، وعلاقتها بالدين، وكيف تكون هذه العلاقة عند امرأة متمردة وثائرة على المجتمع والتقاليد.

–وفي المبحث الثالث:(المرأة على الصعيد الإيديولوجي الاجتماعي) فسنوضح من خلال الخيوط المتشابكة في حياة "الشخصية" الأمور التي تتعلق بنظرة المرأة لقضاء الدولة والقوانين والمنشئات الحكومية.

–والمبحث الأخير المعنون:( المرأة على الصعيد النفسي) فسنوضح به التقلبات النفسية وأثرها على حياة المرأة من خلال الحوادث التي تعترضها، في بقعة جغرافية تعد سجناً لغير الرَجال.

وفي الخاتمة: سنقدم أهم النتائج التي سيتوصل إليها البحث.

## التمهيد:

المرأة جزء لا يتجزأ من كيان الأدب والإبداع، ومن قبل أن تكون أديبةً أو محوراً في العمل الأدبي، هي جزء من المجتمع الذي تعيش فيه، تتأثر به وتؤثر فيه، وينعكس عليها صدى أحداثه، بل إن المرأة أكثر تأثراً بتلك الحوادث نظراً لطبيعتها، ومع تطور الكتابة في الساحة الأدبية نتيجة لأحداث الواقع، تحررت المرأة وتطورت ككاتبة تخط فكرها وكبطلة ترسمها الكلمات، تحرراً لا من الظلم الاجتماعي والنمطية والدونية فحسب، بل من قيود الكتابة التي قيدت أيدهن، تحرراً ينبثق من الواقع ويجابهه، ومن هنا تقدم لنا بيطار شخصية "إيمان" نموذجاً فريداً بعيداً عن النماذج الجاهزة فعملت على سبرِ أغوارِ المرأة بوصفها إنساناً ذات تركيب معقد من عقلٍ وقلب وروح ورغبة، وهي المطلقة الشابة والأم في مجتمع السطلة الذكورية، والحياة القاسية التي جعلتها تنغمس في عصابة لسرقة الأدوات الجراحية، وبين راتب شحيح، وصراع

الرغبة والمجتمع، تتأزم الحالة النفسية للبطلة وتنفرج مع انتهاء العمل، بعد أن تقاذفها هوى الميل والحبّ، وليجعل منها بطلة ورمزا يمثل أوجاع نساء الشرق كله.

**المبحث الأول:** المرأة على الصعيد الجسدي المادي.

يعدّ الحبّ من المسائل المهمة في الكتابة النسائية خاصة، والأدبية عامة، وهذا ما يجعل أغلب الروائيات يُولِيَنهُ مكانةً كبيرة في المتن الروائي كونه العصب الأساس لبطلاتهن، ويتراوح تصويره بين الجرأة والإفصاح والحياء، وبيطار صورت الحبّ بمجهر دقيق دون مساحيق تجميل، فبطلة العمل بالرغم من وجودها في مجتمع سلطوي ومن دين ملتزم، ورغم معاناتها كأم مطلقة، لم تكن مجرد وعاء للشهوة، أو سهلة وخاضعة، ولم تضع شماعة (المجتمع يقول) حاجزاً على رغباتها، فهي صورة مُحبّة ومحاربة؛ تحارب ذاتها لما آلت إليه بعد تورطها في سرقة الأدوات الجراحية لقاسم، وبعد كل مرحلة تخوضها من السجن ثم زواجها الثاني، وكل هذا بدافع الهوى والرغبة؛ رغبةً بحياة أفضل، وإيمانا منها بمعتقدات مغايرة للمحيط، إذ تمثل الثورة الفكرية للمرأة، فكونها مهجورة لسنوات من قبل زوجها وطلاقها بعد ذلك ووقوعها في حب رجل وهبته جسدها، جعلها نعجة تساق للذبح على ألسنة الجميع، فهي تنظر لذاتها بكمال لا يقل عن الرجل في الحقوق والرغبات، ومادامت لا تتقاضى مالا وتخطط للزواج فلا عيب إذ تقول: ( أين العهر في الحبّ، لماذا تتساوى العاشقة مع العاهرة) ، وتقول في موضع آخر :( أتعرفُ لمَ لمْ أقتنص منه الملايين، لأني اعتقدت أنّ ما بيننا حبّاً، وحين سأستغله لا أكون أحبه، بل سأكون سافلة) ، وبعيدا عن فلسفة إيمان عللت[٦]بيطار ذلك بالجانب البيولوجي المادي( كانت تحس بالحزن والأسى حين توقظها من عز نومها نوب الحرمان العاطفي والجنسي وتطالبها بصوت كالفحيح بأنها تريد أن تشبع) ، ورغم ذلك لم تنظر لها كحاجة حيوانية بل توازن ما بين العقل والقلب( أي تخلف.. بل أيةُ مغالطة هذه الأفكار.. ما الجسد، وما الروح) ، فشخصية إيمان تحليلية نامية مُركبة، تعارض بكل وضوح الفكر الشرقي، كونها وعاء للشهوة وخادمة للبيت فقط (وهذا ما يكرسه المنظور الذكوري ونظرة الرجل الوحشية للجسد الأنثوي من خلال اغتصاب الذكورة للأنوثة) ، هذا الاغتصاب الذي يتمثل بالفكر والعادات وميدان العمل وفي الحياة اليومية من ممارسات ف(بسبب الحدود التي يقيمها المجتمع السوري المحافظ: إذ يفصل بين الذكر والأنثى لاعتباراتٍ دينية واجتماعية تقليدية) ، ويتضخم الأخر بذلك وهو الذكر ويزداد شعور الأنثى بالقصور وهو ما تحاربه إيمان في مجتمعها، وتعاني منه في بيت أهلها التي نسيت به جسدها وجمالها المدفونين بين أثاث البيت القديم ورائحة والديها العجوزين وطفولة ابنها و احتياجاته( كيف ينسى الإنسان جسده...و أحسست بالشفقة على جسدي المهمل المنسي) ، وكي تهرب من هذا الاغتراب[٧]وبكونها رمز الحبّ تهرب من هذا الشعور بوعي أو من غيره متمردة على الشروط الفيزيولوجية والاجتماعية، وفي زواجها الثاني بعد سجنها تعالت على الرغبات وأحبت مفكرا مسناً إلا أن قناع الثقافة سقط بعد الزواج في ممارساته المقززة والسادية نفسيا عليها( أمسك يدي وهبط بها إلى صدره الرخو، ابتلعت قرفي...و أنا أشعر كيف يصلني القهر وينتهكني) ، وعلماً بأنها قادرة على خيانته لم تفعل لأن الرغبات الجسدية التي كانت معادلا في عدم تلبيتها لحريتها المسلوبة قد ربحتها في بيروت

[٥] هوى: هيفاء بيطار، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٨٠.
[٦] المصدر السابق: ص١٥٩.
[٧] المصدر السابق: ص٨٢.
[٨] المصدر السابق: ص٨٢.
[٩] صورة المرأة في رواية" المرأة ذات الثوب الأسود" لحنا مينة: شروق فلاك، فيروز حشاشي، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، كلية الآداب واللغات، الجزائر،٢٠١٨، ص٢٨.
[١٠] الستائر المخملية (ملامح الأنثى في الرواية السورية حتى عام ٢٠٠٠): محمد قرانيا، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤، ص١٧٠.
[١١] هوى: ص٤٤.
[١٢] هوى: ص٢٣٦.

الحرية فكل ما كان مقيدا قد خرج كما يشير فرويد:" إن مكبوتات الشخصية عند اصطدامها بأشياء مشابهة لها تخرج مندفعة" .أما فيما يخص الوضع المعيشي[١٣] المادي فقد ازداد كرهها لإيمان الجديدة بعد كل سرقة اضطرت لها بسبب شح الراتب وانعدام الحرية والتي بدأت تحس بها وهي تحلم بامتلاك بيت يعد مساويا لامتلاكها ذاتها( ولعل اللجوء إلى مثل هذه الأدوات يشير إلى استحالة الإصلاح في الواقع المعيشي حتى وإن انتقلت الذات من الهروب إلى المواجهة) لتمثل باختيارها الخاطئ المبرر بنظرها نموذجا للصراع بين الفرد والمجتمع.

**المبحث الثاني:** المرأة على الصعيد الروحي الديني.

قد يظن القارئ أن إيمان شخصية متناقضة، ولكن الكاتبة بجعلها متمردة على المواريث وحقها في ممارسة الحبّ لم تغفل عن الجانب الروحي، ولم تغفل عن نقد إيمان اللاذع حتى للدين وأعرافه، لا كما وردت في الكتب السماوية بل كما فسرها البشر، ولسائل يسأل كيف هي مؤمنة وقد وهبت جسدها لرجل لم تتزوجه؟ لنجيبه أن قضية المقدس والمدنس والحلال والحرام أصبحت أعم وأشمل من قضية النصوص المشرعة وتفاسيرها (فالمقدس ليس الدين فقط...وإنما يكمن المقدس حتى في عاداتنا اليومية واعتقاداتنا، ... في العلاقات ضمن العمل، ... وفي البديهيات والمسلمات والمحكيات) ، ويمكن أن يكون ما نؤمن به من أفكار ثبتت في المخيلة الدينية والشعبية للناس أي (الثوابت)، وبحكم اختلافنا فالمخزون الفكري لدى إيمان يجعل لها منظورها الخاص. وتكمن المفارقة في اسمها وهو اسم ديني بحت، وهو مصدر الفعل (أَمَنَ) ومن معانيه التصديق بالقلب والعمل بالجوارح، والإقرار باللسان، وهو ضد الكفر والكذب، ونحن نراها تصدق قلبها تابعة لهوى إحساسها بما يمور به واقعها وذات لسان سليط يترجم دواخلها، أما (العمل بالجوارح) فهو ما حاولت بيطار أن تصوره من جانب مادي يكمل الجانب الروحي (فعلى الاسم أن يبرز الشخصية ويحمل ملامحها الخارجية والنفسية والاجتماعية كما يحمل العديد من المعاني والدلالات التي تهدف الرواية للتعبير عنها) وتتكشف دلالات الشخصيات بما يناسب اسما في سياق الأحداث، فتحقيقها للغاية الروحية يتم في نهائية الرواية مع تحقق التوازن الداخلي فهي حملت معنى مخالف لاسمها بادئ العمل وحققته في الختام فالإنسانة النزقة والشاتمة والمكدرة تحصل على السلام( كل صباح يجب أن يقول كل إنسان لنفسه أنا قادر) وفي لحظة طلبها للتحقيق نستحضر تأثرها بالقرآن الكريم( وطغى صوت عذب بآيات قرآنية انهمرت دمعة حارقة من عينيها..) وهذا الحدث كان بداية التحول[١٨] الروحي، فصراعها مع الواقع جعلها تنقسم داخليا على ذاتها تسرق لكنها تتبرع بالمال أو تكسي منزل أحلامها دون صرفه على ملذات شخصية. وتسلط الكاتبة الضوء على قضية هجر الزوج لزوجته ومعاناتها في المحاكم الروحية المسيحية في حصولها على الطلاق، باختصار إن إيمان ليست كافرة بل ضحية وصلت للنجاة عن طريق حبها للسيدة مريم العذراء ولصوت الضمير الداخلي وحبها للشعر الصوفي، فسؤالها عن سبب سير حياتها في هذا المنحى أجج نزعة وجودية منبعها الحرية فَ (الإنسان كما تراه الوجودية حرَ بل هو الحرية ذاتها) ووعيها لحريتها جعلها تتحمل قرارتها، فبيطار جعلت رغبات الجسد والروح في صراع متسق في آن واحد ورغم الأول حق مشروع في نظر البطلة، غلا أنها في النهاية أدركت أن ما كسبته على الصعيد الروحي أسمى وكنزها الوحيد بعد رحلة الشقاء التي نراها ترافق البطل في أغلب الأعمال الأدبية.

---

[١٣] علم النفس في القرن العشرين: بدر الدين عامود، ط١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠١، ص٢٣٧.

[١٤] تطبيقات في السيمياء الاجتماعي للأدب- صورة المجتمع في القص النسائي السوري: رودان مرعي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠١٢، ص٢٠٠.

[١٥] المقدس والحرية: رفيق حبيب، ط١، دار الشروق، بيروت،١٩٩٨، ص ١٨.

[١٦] الستائر المخملية: ص٨.

[١٧] هوى: ص٣١١.

[١٨] نفسه: ص١١٧

[١٩] شخصية المثقف في الرواية العربية السورية: محمد رياض وتار، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠، ص١٤٢.

**المبحث الثالث:** المرأة على الصعيد الإيديولوجي الاجتماعي.

إن الشخصيات الروائية نافذة لعرض أفكار الأدباء وعكس الواقع وذلك بما يسرد على لسانها من حوار داخلي أو خارجي. وسنعرض أولا للجانب الإيديولوجي، والإيديولوجيا لها تعريفات عدة حيث يرى بعضهم أنها (أنها علم الأفكار أو معتقد أو مذهب فكري سياسي تعتنقه جماعة بشرية في تصورات وأفكار سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية) والإيديولوجيَ هو الذي يتحيز للأشياء ويؤول الوقائع بكيفية تظهرها مطابقة لاعتقاده، وما جاء على لسان إيمان مطابق للواقع وممكن الحدوث ومن النظرات الخاصة بها نظرتها لدوائر الدولة والقضاء كما جرى معها عند التحقيق معها من تهميش واحتقار كأنها حيواناً وفضح قضايا الرشوة والفساد( سندفع مليون ليرة لقاضي الاستئناف مقابل إصدار الحكم ببراءتك) وما حدث معها على الحدود أثناء سفرها ونسيانها لورقة عادية في[٢] خضم عاصفة ثلجية(تساءلت: ولمَ تهينوني بالانتظار؟.. صرخ الأخر.. اسكتي هذا الكلام جريمة هل فهمت؟) ولكونها امرأة افتتحوا معها تحقيقًا لا فائدة منه للتمتع بالنظر إليها لتشعر بالدونية والتعري تحت عيونهم (أليست غاية القانون تحقير الناس وإذلالهم) وفي اشمئزازها من المشفى المتهالك الذي تعمل فيه، وقضايا السرقة التي تحصل بتواطؤ مدير المشفى، فيغدو ذلك المبنى معادلا لمعاناة الوطن، وشكواها هي فقط تدل على قلة الوعي في المجتمع والخوف، وهذا الاختلاف الإيديولوجي بينها وبين شخصيات العمل نستدل عليه من خلال الحوار(بحيث تعبر كل شخصية روائية عن وجهة نظرها في قصة ما فيظهر بذلك مدى الاختلاف والتوافق بين الشخصيات) من مثل ذلك ما دار بينها مع ضديقتها جنان في حالة غضب من[٢] وضع المشفى (ألا ترين المأساة، الماء ترشح قرب أسلاك الكهرباء... وأرض العيادة بركة،... قاطعتها... ليكن.. ماذا يفيد غضبك.. قومي بعملك وتجاهلي الواقع حولك) إذ تمثل جنان الشريحة الصامتة[٣] من الشعب، وعن عدم أداء أحد[٢] لوظيفته جيداً وعن هجرة العقول ويتصاعد هذا الصراع في نهاية العمل بعد عودتها من بيروت لتعمل في مستوصف يجهز احتفالا لقدوم الوزير الجديد وهو قاسم(عيناي أصرتا أن تقولا له أنت النصاب واللص يا سعادة الوزير) وبعد الاستماع لخطابه[٦] عن الصمود والصمت الذي يعم العاملين والممرضات يغدو الجميع إيمان؛ يغدو الشعب امرأة مستعبدة من رجل أرعن يمثله قاسم الذي يعمل حسب شعار –أنا فقط، مصالحي أولا، كل شيء مباح لي– فعقيدة هذه الطبقة معروفة ويشير جورج طرابيشي أن(لكل طبقة إيديولوجيا محددة تحاول فيها الطبقة أن تحدد تصورها للعالم في ظل مصالحها وحاجاتها وعلاقتها مع الطبقات الأخرى القائمة على الاستغلال) . أما على الصعيد الاجتماعي[٧] فكل متطلبات الفرد مرهونة[٢] بعلاقته مع محيطه ومجتمعه وبجعل بيطار إيمان متمردة تجعل علاقتها مع المحيط علاقة مضطربة تناسب معالمها النفسية (فمعالم الشخصيات لا تحدد إلا إذا وضعت في إطار من الزمان والمكان المعينين) وعلاقة الشخصية بالمكان[٨] علاقة تأثير متبادل فعلاقة المكان بالإنسان( علاقة جوهرية تلزم ذات الإنسان وكيانه) وعلاقة إنسان مع المحيط[٩]

[٢٠] مؤثرات إيديولوجية في أدب الطفل العبري (مقارنة تأويلية): أحمد زلط، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون،ع٤، الكويت،٢٠٠٧، ص٤٤.

[٢١] هوى: ص١١٨.

[٢٢] نفسه: ص١٧٤.

[٢٣] نفسه: ص٢٧.

[٢٤] أزمة المثقف في الرواية الأردنية: هدى جمال محمد، ط١، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٣، ص٦٩.

[٢٥] هوى: ص٦٤.

[٢٦] نفسه: ص٣٣٣.

[٢٧] الماركسية والأيديولوجيا: جورج طرابيشي، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١، ص١٠٨-١٠٩.

[٢٨] ظهور الرواية الإنكليزية: إيان واط، تر: يوئيل عزيز، منشورات دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٢.

[٢٩] مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً: جميل شاكر، سمير المرزوقي، مشروع النشر المشترك، بغداد، ١٩٨٦، ص١٦٠.

الاجتماعي تنقسم إلى وجودها في اللاذقية، ووجودها في بيروت، ففي اللاذقية تتراوح العلاقة بين جذب ونبذ، فبالرغم من مقتها لكل شيء فيها لا شيء يخدرها إلا المشي في شوارعها وتأمل بحرها وتجولها في سوق الألبسة المستعملة، كأنها تعشق اللاذقية الخيال أي كما يجب أن تكون ولكننا نلحظ عودتها للاذقية برضى يتوافق مع توازنها الداخلي آخر العمل وهو ما يشير إليه يقطين:" نجد العديد من الشخصيات وبالأخص الفواعل المركزيين مهما ابتعدوا عن موطنهم الأصلي يعودون" ونمط علاقتها بالناس في اللاذقية يقوم على نبذها لتمردها ومن خلالّ هذه العلاقة تتوضح كل الأقنعة فالأطباء الذين نبشوا شرفها في المشفى حاولوا التقرب منها لظنهم أنها عاهرة وسهلة المنال( من تظنين نفسك أتمثلين علينا دور الشريفة) ، والمرأة المؤمنة التي لا تفوت قداسا تعايرها، ولذلك لم تشعر يوما[٣٠]بالانتماء ولقائل يقول أنها شخصية سلبية ضمن المجتمع نجيبه بما يؤكد وطأة الواقع الذكوري البطرياركي الذي عانت منه بما تشير إليه السعداوي: "سلبية المرأة ليست صفة طبيعية في المرأة ولكنها صفة غير طبيعية نتجت عن ضغوطات المجتمع وكبته لنموها" .أما في بيروت نراها العاشقة لها ولنفسها وشخصية يحكمها الفرح والطاقة في هذه المدينة ويتوافق هذا بتسمية الفصل ما قبل الأخير في الرواية "بيروت" التي صقلت روحها وكانت التعويض لها ( الحرية هي أن تشعر أنك استبدلت قلبك الذي نخره الخوف... بقلب جديد يغسله كل يوم رذاذ بحر بيروت) ، الأمر الذي يجعل المكان فاعلاّ في العمل الروائي كالواقع تماماً يوّضح مدى ما تعانيه المرأة في أغلب البلدان العربية.

**المبحث الرابع:** المرأة على الصعيد النفسي.

لقد ذكرنا مسبقاً أن إيمان وصلت للتوازن النفسي الداخلي، وقلنا أنها متمردة على المجتمع بما يحتويه من أفكار وعادات وتقاليد ومواضيع حول السياسة والدين والحبّ والثقافة، وتطور هذه الشخصية على الصعيد النفسي يبدأ رصده من بداية العمل الذي بدأ بعتبة نصية مفتوحة وهذا يدل على عدم التحديد والفوضى في الشخصية التي ندرك أنها تائهة وخائفة من المستقبل إذ وضحت بيطار حالة الخوف والهلع أثناء انتظار البطلة لقاسم منذ الصفحة الأولى، والذي يسير عليها هو الكره(إن الخوف والكره متلازمان دوماً في حياتها، وأنهما الشعوران المؤكدان والأكثر إخلاصا لها) ، ونراها منقسمة على ذاتها امرأة تجلد الامرأة السارقة، وفي الوقت ذاته هذا الصراع الناتج عن خضوعها لرغبات الأنا واللاشعور يزيد من حدته حقنها لنفسها بالفاليوم خوفاً من نوبات الحرمان بالليل والذكريات، وتارة نجدها متقلبة بمزاج عالٍ وهذا يدل على وجود علل نفسية كالعصاب واضراب ثنائي القطب ولو لم تكن تعلم ونستشف على ذلك بمقاومتها لرغباتها (فالناس يسقطون صرعى المرض من جراء صراعٍ بين الغرائز عندهم وبين المقاومة التي تقام في وجهها) ، ونستدل على ذلك بقولها: "عليَّ أن أحارب نفسي وتلك الأفكار الهدامة التي تنهشني" ، ومع ذبول الروح وتصاعد سيّاق الصراع على جبهات عدة نلحظ تأجج صراع الذكورة وعدم المساواة فالقانون ذكر والراتب والخوف والموت والمستقبل والأب والزوج، والحبّ ذكر، أما الحريّة والكرامة والاستقلالية والأمومة والأمنيات والرغبة أنثى، وكأن كل مالا تحصل عليه هو بسبب الضغوطات المتمثلة بكل شيء مذكر، ويوضح جورج طرابيشي العلاقة بين الرموز وما يُذَكّرُ منها والمؤنث منها إلى

[٣٠] قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، سعيد يقطين، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٧، ص٢٣٧.
[٣١] هوى: ص٩٥.
[٣٢] المرأة والجنس: نوال السعداوي، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٧٤، ص٢١٩.
[٣٣] هوى: ص٢٣٤.
[٣٤] نفسه: ص١٠.
[٣٥] محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي: سيغموند فرويد، تر: عزت راجح، مكتبة مصر، مصر، (د.ت)، ص٥٢.
[٣٦] هوى: ص٥٤.

علاقة نترجمها ب(فعلٍ وانفعال، إيجاب وسلب، ومن ثم سيطرة ورضوخ) ، وإيمان انفعلت وتأثرت لكنها أبَت الرضوخ فعانت. العتبة الثانية هي السجن وهنا لدينا مفارقة ضدية فعندما سُجِنَت بين أربع جدران وانعزلت بدأت رحلة سبر أغوار الذات فبالرغم من التخبط في الأسبوع الأول والشوق لطفلها (شعرت براحة شفافة باغتتها.. راحة تشبه الوصول إلى المحطة الأخيرة) وتطرح سؤالاً من قلب الغيبوبة (هل حقاً كنت أملك خياراً آخر ؟) [٣] وتطرح الكثير من الأسئلة على[٩] نفسها ووجودها وتغيرها وتكيفها، ونشر مجدداً لعلة نفسية ناتجة عن سوء التكيف الذي عانت منه، فالإنسان يصبح مصاباً بالعصاب (إذ صادف صعاباً في التكييف مع هدوئه الداخلي أساساً، أو علاقاته بالآخرين أو الاثنين معاً) ، أما عن سبب معاملتها لأهلها بعداوة فناتج عن انعدام حريتها وكبتها بوجودهم معها وهو ما أسماه فرويد الليبيدو (فغياب إمكانية تفريغ الطاقة الجنسية أو ضعفها يفسح المجال أمام ظهور النزعة العدوانية) كما أن كونها شخصية قضيبية أي طموحة بتغيير الواقع يجعلها عرضة للإحباط أكثر من غيرها، أما في الفصل المعنون ب" صدمة المعجزة" نرى خطا الفرح والغضب والحيرة بسبب ارتباطها بالمفكر على وتيرة واحدة أما في "بيروت" و"ليلة الدخلة" نجد حريتها مضاعفة ولكنها تخوض حرباً بين شبابها وجسده الكهل الذي يمتص حيوتها رغم فضله في تغيير واقعها حيث تقر بفضله (هذا الرجل أشبه بنبوءة حياتي، لقد أعطى حياتي ذات الطول والعرض فقط العمق... تعلمت سبر أعماقي وفهمها وتحليلها... معه أحقق التوازن) ، أما في "شهرزاد" فهذا التوظيفٌ من قبل الكاتبة ليس لإنقاذ فتياتٌ القبيلة بل لإنقاذ روح إيمان التي سحرته بقصصها عن اللاذقية والشرق كضمان لبقائها في بيروت ولمستقبل ابنها الدراسي، فبالرغم من تعب الإنسان من الحياة نراه ينحاز لها في الغالب، فاستحضار شهرزاد هو معركة إيمان ضد الموت الذي ينتظرها كزوجة المفكر السابقة، أما في الفصل الأخير" سلام الهزيمة" فنحن نعلم أن السلام يكون بالنصر، إلا أن هزيمة إيمان بتحقيق الاستقلال المادي وتحقيق الرغبات في دنيا الواقع، حقق لها السلام في دنياها الداخلية فبعودتها للاذقية أخيرا ولأول مرة شعرت بالانتماء، وتضع بيطار معادلاً للمرأة وهو الأشجار التي تزهر مجدداً بعد اليباس لتقطف إيمان زهرة عند الإشارة الحمراء( حيت توقف الميكروباص عند الإشارة مدت يدها وتمكنت من اقتطاف زهرة من غصن الشجرة..) ، أي حققت كمالها بعد تجاوز الخطوط الحمراء وخوض غمار الحياة بقلب عاشق وإرادة حديدية . [٣]

وبهذا تبدو الرواية الماتعة مثقلة بالعمق النفسي والفكر على أصعدة عدة لما يمور في أعماق المرأة من مشاعر وخفايا شرقاً وغرباً فنرى التناقضات التي تبرز الجمال للعمل ككل، ويجعلنا واثقين أكثر أن الأدب عنصراً مهماً في فهم الحياة وأستحضر هنا قول للدكتور عادل فريجات في دراسته لرواية" أيقونة بلا وجه للكاتبة (بأن قراءة هذه الرواية تترك أثرا يشبه الأثر الذي تتركه المسرحية المأساوية التي تطهر المشاهدين من مشاعر الخوف والشفقة) لنقول أن رواية هوى لها ذات التأثير ونضيف عليه إكساب القارئ الإرادة وحبّ الحياة والتمسك بها. [٤]

---

[٣٧] شرق وغرب رجولة وأنوثة- دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية: جورج طرابيشي، ط١، در الطليعة، بيروت، ١٩٧٧، ص٨.

[٣٨] هوى: ص١٠٧.

[٣٩] نفسه: ص١٠٧.

[٤٠] المرأة والصراع النفسي: نوال السعداوي، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، ٢٠١٧، ص٢٤.

[٤١] علم النفس في القرن العشرين: ص٣٥٩.

[٤٢] هوى: ص٢٦٦.

[٤٣] نفسه: ص٣٣٥.

[٤٤] الخطاب وتقنيات السرد في النص الروائي السوري المعاصر: عادل فريجات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٩، ص١٠٢.

*مصلح الإيروتيكية هو مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية "إيروس" والتي تعني الحبَ أو العشق، والفن الإيروتيكي هو فن يدور حول موضوع جنسي يتعلق بالعواطف وليس مجرد أفعال. انظر: معجم المصطلحات الأدبية: يوسف خياط، ط٣، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، ١٩٨٦، ص٤٧. والجنس والمنطق: ريتشارد بوسنر،ط٤، جامعة هارفرد، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٨، ص٣٥١.

## الخاتمة.

وبعد ما تقدم لابدَّ لنا من أن نقدم النتائج التي توصلنا إليها:

١-إن صورة المرأة التي تنطوي على البعد الجسدي المادي، تصور لنا البون الشاسع والازدواجية في الآراء والأحكام التي تطلق على المرأة في ميدان مقارنتها مع الذكر، وعدم رضوخ الشخصية هنا يمثل صرخةً حقيقةً تؤكد على أهمية المرأة وتذكرنا بفاعليتها عبر الزمن، وتبرهن أن زمن التهميش قد ولّى.

٢-التناقض الذي جعل البطلة تصل إلى كمالها وتعثر على ذاتها يضرب بعرض الحائط كل المعتقدات والمواريث البالية حول المرأة، فمن حقها أن تخطئ كما الرجل، وأن تحيا إلى جانبه لا وراءه تحت شعارات الدين والمجتمع.

٣-إن كشف الستار عن دور المجتمع والمدينة في إكمال كينونة الإنسان بدا هنا من خلال مقاومة البطلة، وهذا يعكس حركية التقدم الاجتماعي وذلك بعرض هذا النموذج المقاوم من خلال كاتبة نسوية رافضة للنقص في مجتمعها تماما كما يرفضه أي أدب ثوري.

٤-إن تصوير الكاتبة لأحقية المرأة بتحقيق رغباتها الجسدية لم يتم في مجال الكتابة الإيروتيكية*؛ بل تم عرضه بطريقة تقارب الواقع، وإن صح القول تعكسه بكل شفافية. فبيطار تخلصت من كل شيء تقليدي في شخصية البطل الروائي الي يجعل المرأة إما في ثوب الفضيلة المطلق أو الرذيلة البحتة، مختزلة بشخصية إيمان كل الصور المكررة، وواقفة عند كلمة واحدة هي "هوى" لتجعل الحلَ لمشاكل المرأة والناس جميعاً هو الحبّ.

## فهرس المصادر والمراجع:


١-*أزمة المثقف في الرواية الأردنية*: هدى جمال محمد_ط١_ الأكاديميون للنشر والتوزيع_ الأردن، ٢٠١٣م.

٢-*تطبيقات في السيمياء الاجتماعي للأدب (صورة المجتمع في القص النسائي السوري)* _ اتحاد الكتاب العرب_ دمشق، ٢٠١٣م.

٣-*الخطاب وتقنيات السرد في النص الروائي السوري المعاصر*: عادل فريجات_ اتحاد الكتاب العرب_ دمشق،٢٠٠٩م.

٤_*الستائر المخملية (ملامح الأنثى في الرواية العربية السورية حتى عام ٢٠٠٠)*: محمد قرانيا_ اتحاد الكتاب العرب_ دمشق، ٢٠٠٤م.

٥_*شرق وغرب رجولة وأنوثة دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية*: جورج طرابيشي_ ط١_ دار الطليعة للطباعة والنشر_ بيروت، ١٩٧١م.

٦_*شخصية المثقف في الرواية العربية السورية: محمد رياض وتار*_ اتحاد الكتاب العرب_ دمشق، ٢٠٠٠م.

٧_*صورة المرأة في رواية "المرأة ذات الثوب الأسود " لحنا مينة: شروق فلاك*، فيروز حشايشي_ جامعة محمد بوضياف_ رسالة ماجستير – كلية الآداب واللغات_ الجزائر، ٢٠١٩م.

٨*ظهور الرواية الإنكليزية:* إيان واط_ تر: يوئيل يوسف عزيز_ منشورات دار الجاحظ للنشر_بغداد،١٩٨٠م.

٩ *علم النفس في القرن العشرين*: بدر الدين عامود_ اتحاد الكتاب العرب_ دمشق، ٢٠٠١م.

١٠_*قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)*: سعيد يقطين_ ط١_ المركز الثقافي العربي_ الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

١١_*الماركسية والإيديولوجيا*: جورج طرابيشي_ ظ١_ دار الطليعة للطباعة والنشر_ بيروت، ١٩٧١م.

١٢_*محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي*: سيغموند فرويد_ تر: عزّت راجح_ مكتبة مصر_ مص، (د.ت).

١٣_*مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً*: جميل شاكر، سمير المرزوقي_ مشروع النشر المشترك_ دائرة الشؤون الثقافية العامة_ بغداد، ١٩٨٦م.

١٤_*المرأة والجنس*: نوال السعداوي_ ط٢_ مكتبة مدبولي_ القاهرة، ١٩٧٤م.

١٥_ *المرأة والصراع النفسي*: نوال السعداوي_ ط١_ مؤسسة هنداوي للنشر_ مصر، ٢٠١٧م.

١٦–*المقدس والحرية*: رفيق حبيب_ط١_ دار الشروق_ بيروت، ١٩٩٨م.

١٧_*مؤثرات إيديولوجية في أدب الطفل العبري (مقارنة تأويلية)*: أحمد زلط_ مجلة عالم الفكر_ع٤_ المجلس الوطني للثقافة والفنون_ الكويت، ٢٠٠٧م.

*١٨هوى: هيفاء بيطار_ الدّار العربية للعلوم ناشرون*– منشورات دار الاختلاف_ الجزائر، ٢٠٠٧م.